

"مثلث ذهبي" أضلاعه الجامعة والبحث العلمي و الشركات:

الاستثمار في بناء الثروات و اقتصاد الغد

تحرير: باسكال بوريس و أرنو فيسييه ترجمة : الدكتور محمد قماري

" إن هذا المشروع يتطلب تعاضد عنصرين أساسيين: أصحاب الثروات وأرباب العقول، مع استبعاد البيروقراطية وتشبيد المباني.. التي تبهر الناظرين.. ويشترط في العنصرين أن يكونا غنيين، بمعنى أن يكونوا من الشباب، و ترك هذه العناصر تتفاعل على نار هادئة، فالعجلة تفقدنا الرغبة، ثم العمل على زيادة توهج النار كي نحافظ على توقد الحماس " ...

هيرفي لوبريل¹

مدخل

كانت الجامعات البريطانية، خلال عقد الثمانينيات، تشكو من نفس المشكلات التي تعرفها الجامعات الفرنسية اليوم، وأهم ملامح هذه المشكلات: نظام جامعي متكلس (منغلق على نفسه) ومقطوع الصلة بمحيطه الاقتصادي. وقد عملت الحكومات المتعاقبة في بريطانيا (المحافظين والعمال) على ضخ أموال واستثمارات كبيرة²، قصد التحديث والابتكار بكل أشكاله، مع التشديد على تشجيع التعاون بين البحث النظري وتطبيقاته الاقتصادية، والهدف من هذا هو أن جعل بريطانيا العظمى بلدا قادرا على منافسة البلدان التقليدية في مجال الاختراع والابتكار (الولايات المتحدة الأمريكية واليابان) وأيضا القوى الناهضة (إسرائيل وتايوان وكوريا الجنوبية والهند) والتي تتطلع اليوم لتجاوزنا على صعيد حلبتنا في التكنولوجيات المتطورة.

لقد استطاعت فرنسا ابتكار عدة مفاهيم تجارية جديدة، وتأسيس مؤسسات عالمية رائدة، نذكر منها على سبيل المثال: المساحات التجارية الكبرى مع علامة كارفور (Carrefour)، و

¹. هو مؤلف كتاب "تحفيز المشروعات: ما يمكن أن نفيده من وادي السيليكون"، Start-up, ce que nous pouvons encore

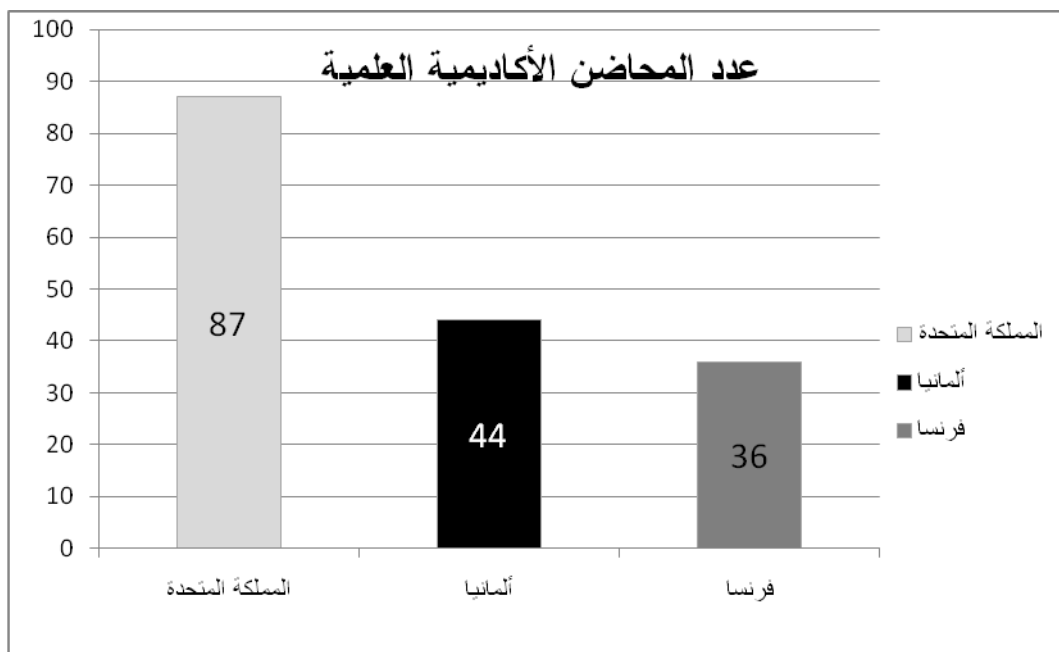
apprendre de la Silicon Valley وهو أيضا مستثمر بعد أن كان أستاذا جامعيًا.

². بدءا من العام 1997.

شركة المطاعم الجماعية (Sodexo)، والشرائح الرقمية (Gemalto)؛ انطلقت هذه المؤسسات الضخمة قبل حوالي 30 عاما، وقد أثبتت فعاليتها، لكن يصعب اليوم رؤية تجارب مماثلة تأسست حديثا. وقد حاد بها السير على خطى قطار شركات المنتجات صغيرة الثمن (Low-cost) الذي ركبته إيرلندا و بريطانيا، منذ عدة عقود، فإن فرنسا وجدت نفسها مجبرة على تطوير اقتصاد جديد؛ إن أعين فرنسا تلحظ التطورات التي يقوم بها أبرز منافسيها، تجد نفسها في موقع ردة الفعل والتقليد، أملا في بعث "بطل قومي" في قطاع مماثل عوض التركيز في كيفية ابتكار النموذج الاقتصادي للغد.

في بريطانيا، تؤدي قطاعات الابتكار العلمي والمحاضن الجامعية دورا هاما، في الدفع بعجلة تأسيس الشركات القائمة على الملكية الفكرية، التي يتم تطويرها في مراكز البحث الجامعي، حيث تمتلك نصف الجامعات البريطانية حاليا محضنها الخاص (87 في بريطانيا مقابل 36 فقط في فرنسا).

كما أن 20 من المئة من الشركات المستفيدة من رأس المال بمخاطر، انبثقت من داخل الجامعات البريطانية. فحاضنة جامعة أكسفورد، مثلا، قد شكلت حجر الأساس في تأسيس أكثر من 40 شركة في السنوات العشر الماضية، بقيمة إجمالية تقدر بـ 2 مليار جنيه إسترليني أي حوالي 2 مليار و نصف مليار يورو³.



أمثلة لمحاضن من بريطانيا و فرنسا

ESSEC Ventures	Cambridge entreprise	ISIS Innovation	Imperial Innovation	
أيسيك فننتور 2007	شركة كامبريدج 2007	إيزيس للابتكار 2006	امبريال للابتكار 2006	
95%	100%	100%	60%	حصة رأس المال التابع للجامعة
4	39	34	40	عدد الموظفين
25.0	6.1	3.8	17.3	الاستثمار (مليون يورو)
-	49	58	77	عدد براءات الاختراع المسجلة

المؤسسات الجامعية البريطانية، هي قبل أي شيء آخر، فضاء ينبض بالحياة والتواصل بين الطلبة والأساتذة، تسمح بمزج مختلف المواهب، وتتيح على الدوام فرص التواصل والتبادل، وتحرص الجامعات على تهيئة كل ما من شأنه تشجيع وإعلاء هذا الحوار.

ومن الخطأ الاعتقاد بأن الإصلاح الجامعي في بريطانيا أسهل منه في فرنسا؛ فقبل 25 سنة لاقت الإصلاحات البريطانية الهادفة إلى استثمار الملكيات الفكرية داخل الشركات التجارية تحفظا كبيرا، لكن الحكومات سواء من حزب المحافظين أم من حزب العمال حرصت على تشجيع هذه الخطوات التي لا ينكر أحد ثمارها اليوم.

1. النموذج البريطاني يأخذ بسبيل النجاح

مقابلة بين فرنسا وبريطانيا: فمن الفائز؟

بريطانيا	فرنسا	
2.340.000	2.260.000	عدد الطلبة
169	4305 (جامعة، مدرسة عليا، معاهد متخصصة..).	عدد مؤسسات التعليم العالي
نظام مفتوح للجميع، مع وجود اختبار دخول يضمن مقعد لكل طالب.	نظام مفتوح للجميع، والبقاء لمن يجتاز الاختبارات الفصلية، (يرسب 50 من المئة من الطلبة في نهاية السنة الأولى ليسانس).	الدخول إلى الجامعة
كلما كانت نسبة مخرجات الجامعة عالية، بتحصل الطلبة على الشهادات، كانت قيمة الجامعة معتبرة	كلما كانت نسبة رسوب مدخلات أو مخرجات الجامعة عالية، كانت قيمة التكوين معتبرة	معايير نجاح الجامعة أو المدارس العليا
بين 3 و4 سنوات حسب التخصص، ويحصل 90 من المئة من الطلبة على شهادتهم خلال 3 سنوات.	3 سنوات، ويحصل 35 من المئة من الطلبة فقط على شهادتهم خلال 3 سنوات، فيما 22 من المئة من الطلبة لا يحصل عليها أبدا.	مدة الطور الجامعي الأول
التدريب العملي ضمن فريق، مع وجود إشراف فردي وجماعي، و الأفضلية لتقديم الأبحاث وعرضها مهم بذات قدر الامتحان التحريري	- الأفضلية للعمل الفردي. وليس هناك إمكانية للتواصل مع مشرف، وفي الامتحانات الأفضلية تعطى للتحريري عن الشفهي.	ثقافة ونمط العمل

معدلات العمل لفئة مادون 25 سنة. (2006)	29.3 من المئة	53.2 من المئة
السطر الأول من السيرة الذاتية	المؤهل الجامعي	الخبرات المهنية
النتيجة النهائية	قل لي في أي كلية درست قبل سن 20، أقول لك من أنت.	قل لي ماذا فعلت بعد تخرجك، أقول لك ما تستطيع فعله.

لابد لنا من الإقرار بعد معاينة طرق تقييم التأهيل الدراسي أن هناك مفارقات بين فرنسا وبريطانيا، فمن ناحية، تعطي بريطانيا قيمة أكبر للخبرات الشخصية وتعدد التخصصات والمهارات العملية بينما تنظر فرنسا بشكل أولي إلى اتساق المسيرة الدراسية والتخصص وترفع من تقييم المؤهل الجامعي.

من ناحية أخرى، تعتبر الجامعة البريطانية مكانا للتأهيل الثقافي والاجتماعي أكثر منه لتعلم مهنة بعينها، فعلى سبيل المثال، يحرص الطلبة على إنشاء شبكة علاقاتهم الشخصية ويعتبرون ذلك عاملا جوهريا في التجربة الجامعية. كما يشدد رؤساء الجامعات مع بداية السنة الجامعية في كلمة الترحيب على أهمية الحياة الثقافية داخل المنظمات الطلابية طيلة سنوات الدراسة، مشددين على أهميتها أكثر من التعليم في ما يتصل بالعمل في مستقبلهم بعد التخرج.

فخريج علم الآثار لا يضيره بعد تخرجه، أن يشتغل في مجال المالحة، كما أن الأمر لا يثير استغراب الناس، وأحد الشواهد على ذلك أن برينت هوبرمان (Brent Hoberman) مدير شركة الإنترنت العالمية للطيران (Lastminute.com)، كان قد درس الأدب الفرنسي والأدب الألماني قبل أن يدخل في تجربة التجارة الرقمية ويقول "بعد سن الـ30، نقوم بتوظيف العامل بالنظر إلى نجاح تجربته المهنية السابقة، ولا يتم توظيفه بالاعتماد على شهادته".

من هنا يبدو التوظيف أكثر مرونة وسرعة، كما أن الاختصاص الجامعي لا يجب أن يكون عائقا في المسيرة المهنية، وسوق العمل ديناميكي بامتياز، وليس هناك توقيت يحول دون التفكير في تغيير المسار المهني، بل عكس ذلك هو الصحيح.

1- مجتمع جامعي من البداية

نجاح الطالب: شغل الجامعات البريطانية المركزي

إن قاعدة "عدم الانتقاء" عند دخول الجامعة الفرنسية، ما هو في حقيقة الأمر إلا مسمى مقبول سياسياً، فترجمته الواقعية هي "الانتقاء عبر الإخفاق"، فهناك 52 من المئة من طلبة الليسانس الذين يخفون في نهاية السنة الدراسية الأولى، مقابل 4،8 من المئة في بريطانيا فقط؛ وهكذا يغادر 90 ألف طالب الجامعة سنوياً في فرنسا دون الحصول على شهادة. والجدير بالذكر أن الحكومة البريطانية أنفقت 800 مليون جنيه إسترليني (03،1 مليار يورو) منذ عام 2002 من أجل خفض معدلات التخلي عن الجامعة خلال المسار الدراسي⁴.

إن الاستثناء الفرنسي، القائم على التعايش بين كليات تقوم على التشدد في انتقاء الطلبة وأخرى غير انتقائية، أصبح بمرور الوقت يرسى نظاماً مختلاً، والحقيقة الماثلة للعيان وأمام الجميع: أن هناك جامعات تشكو من شح التمويل، فيما مدارس كبرى يحلم الطلبة بالدخول إليها أكثر من أي وقت مضى. وحالياً لا تستقطب الكليات الجامعية غير الانتقائية سوى 46 من المئة من الحائزين على البكالوريا. ومنذ عام 2001 تتزايد أعداد المنتسبين للسنوات التحضيرية في كبرى الكليات بشكل ملحوظ، أكثر من 2.2 من المئة عام 2005، والحال سيان في كليات التجارة، الكبيرة منها والصغيرة، والتي يزيد عددها هي أيضاً منذ 30 سنة، أكثر من 4، من المئة 5 عام 2005.

الانتقاء والتوجيه داخل الجامعات البريطانية، يعمل على نحو يسمح لكل طالب بالحصول على مقعد وهو نظام يضاهي، بعض الشيء، ما هو معمول به داخل كليات التجارة الكبرى في فرنسا، كما هو مبين في المربع نهاية هذا الفصل.

وأهم ميزة في هذا النظام هو قيامه على مبدأ تبادل المنفعة، فالجامعات من ناحية يحق لها اختيار من تريد من المتقدمين لها ولكنها مقابل ذلك تقدم كل ما بوسعها من أسباب نجاح المشاريع الدراسية و المهنية للطلبة.

وذلك، مكمّن مسؤولية الجامعة البريطانية في ضرورة تحقيق نجاح طلابها وهو ما مؤشر مقياس الجودة بالنسبة لها، بينما في الجامعات الفرنسية يحدد هذا المعيار على أساس رصد و تحديد من سيخفق بدءاً من السنة الأولى الجامعية لطلبة الليسانس أو طلبة الأقسام التحضيرية. والجدير بالذكر، أن رئيس الجامعة في بريطانيا، يقوم عادة باستقبال الطلبة الجدد وأولياء أمورهم، ليشرح لهم أن نجاحه الشخصي، مرتبط بحصول جميع الطلبة على شهادتهم. أما رئيس

4. وكالة الإحصاء التربوي (Education Statistics Agency)

الجامعة في فرنسا فهو شخصية محجوبة عن الطلبة الجدد وأوليائهم، وهو ما يجعل هؤلاء في مواجهة نظام لا يعرفون الأشخاص القائمين عليه وبالتالي لا يتحمل مسؤوليته أحد بعينه، وكل ما يعرفه الطلبة وأولياء أمورهم بصدد نظام قائم على انتقاء الطلبة بالرسوب، وإن لم يصرح أحد بذلك.

في المملكة المتحدة، الرسوم الجامعية تقدر بحوالي 4 آلاف يورو سنويا لكل طالب ليسانس في النظام الجديد، و بدخول مفهوم "الخدمة"، فالطالب يعتبر بالأساس: "زبون ومستهلك" لا كمستغل ومنتفع، ومتوسط الديون المترتبة عن الطالب المتخرج في الجامعة البريطانية ترتفع إلى 21 ألف يورو، فالوقت الذي يقضيه في الجامعة يجب أن يكون نافعا ويقدم قيمة مضافة، ومنه تم التأسيس لنظام متعدد الاختصاصات ويعمل بصورة أفقية ومرنة تتراكم، يضمن تكويننا حسب الطلب وبحسب تطلعات كل طالب.

في الوقت نفسه، طورت الجامعات البريطانية خلال السنوات الماضية نظاما للمنح الدراسية، وفق معايير اجتماعية، كما هو معلوم به في فرنسا، واليوم تصدرت بريطانيا جارتها في هذا النظام وأصبح 60⁵ من المئة من طلبة الليسانس والبيكالوريوس يعيشون من منح دراسية مقابل 30⁶ من المئة في فرنسا.

التمكن من قروض: شركة القروض الطلابية

تمنح مؤسسة القروض الحكومية البريطانية العديد من القروض المشجعة وتتراوح بين 4 آلاف و 8 آلاف يورو في السنة، يبدأ الطالب في تسديد هذه القروض بدون أرباح بعد الانتهاء من دراسته وبداية العمل وتقاضي راتب سنوي يزيد عن 20 ألف سنويا والسداد يأتي بنسبة 9 بالمائة من الراتب الشهري. في حين أن القروض الطلابية التي تعطيها البنوك الفرنسية منذ عام 2008 لا تعتبر مشجعة بسبب شروطها وفوائدها.

تؤدي عملية الانتقاء والتوجيه عند دخول الجامعة إلى إرساء قواعد فعلية للمتلازمات الناجحة: من جهة خدمات - جودة ومن جهة أخرى مقارنة - تلاقح مما يقود إلى تحولات عميقة في المشهد الدراسي الجامعي.

• الطلبة والأساتذة يشكلون مجتمعا جامعيًا

⁵. 30 من المئة من الطلبة يستفيدون من منحة كاملة تقدر بـ4000 يورو سنويا، و 30 من المئة من منحة جزئية تقدر بـ2000 يورو سنويا.

⁶. منحة تقدر بـ3921 يورو سنويا.

تعميم نظام المجمعات الجامعية⁷ campus/collège على جامعات المملكة المتحدة جميعها، (أكسفورد، كمبردج، ديرهم، يورك)، أتاح للطلبة والأساتذة أن يعيشوا متجاورين بعضهم بجانب بعض، وأن يشكلوا بالتالي مجتمعا، فالطالب يستطيع الطالب فيه أن يتواصل مع أساتذته في يسر وسرعة.

كما تقدم كل جامعة بريطانية لطلبتها نظام توجيه قصد مدهم بأسباب النجاح، فالموجه هو أستاذ بالجامعة، يوجه الطالب في كل ما يتصل بدراسته (التسجيل، المتابعة، نصائح، التحضير للامتحانات)، وأيضا في كل ما له علاقة بإقامته داخل الجامعة (الحياة الاجتماعية ونشاط الجمعيات)، كما يمكن أن يتدخل الأستاذ الموجه في أمور تعني الطالب خارج الجامعة (كالتمكن من العلاج أو السكن أو العمل أو التمويل...).

ويختلف عدد الطلبة الذين يقوم أستاذ واحد على توجيههم باختلاف المعاهد والجامعات (بين 3 و 10 طلبة في الغالب)، فضلا على أن كل الجامعات توفر لمجموعة مكونة من 1 إلى 4 طلبة حصة توجيه مدتها ساعة أسبوعيا تحت إشراف أستاذ معين. خلال هذه الساعة يمكن مناقشة عمل طالب ما أو تعميق فهم موضوع محدد.

مزية نظام المجمع/ التوجيه (المجمعات الجامعية والتوجيه الدراسي) يكمن في إيجاد مساحة هامة للتواصل بين الطلبة والأساتذة من جهة، ومن جهة أخرى الإلزام الشخصي للأساتذة في متابعة مسار كل طالب.

أهمية الحياة الطلابية: الجانب الاجتماعي ووسط المنظمات

منذ أن تطأ قدما الطالب أرض الجامعة، يدعى إلى المشاركة في جمعية طلبة السنة الأولى. وخلالها تقوم الجمعيات الطلابية بشتى توجهاتها الثقافية والرياضية والسياسية والاجتماعية باستقطاب أعضائها. تعتبر المشاركة في الحياة داخل الجمعيات مهمة جدا في الجامعات البريطانية وتتخذ بالاعتبار مع نهاية الأعوام الدراسية. دليل ذلك أن أرباب الأعمال يولون هذا المحور اهتماما كبيرا ويعتبرون مسألة أن يتولى منصب رئاسة جمعية طلابية بأهمية الحصول على شهادة جامعية.

UCAS⁸ خدمة القبول و التسجيلات في الجامعات و الكليات: مسار واضح لدخول

الجامعات

⁷. مؤسسة مستقلة وإن كانت جزءا من الجامعة، تسهر على تحضيرات الطلبة لامتحاناتهم وفي حياتهم الجامعية بصورة عامة.

⁸. Universities and Colleges Admissions Service.

تخضع عملية الانتقاء والتوجيه عند دخول الجامعات البريطانية وبشكل حصري لنظام UCAS (خدمة القبول والتسجيل في الجامعات والكليات)، وهو بوابة المرور لكل حملة البكالوريا في بريطانيا، والتي تضمن له مقعدا في التعليم العالي. منذ شهر جانفي (أكتوبر من العام المنصرم لجامعتي كامبريدج وأكسفورد)، كل طالب ملزم باختيار فرع دراسي وقائمة من 5 جامعات يرغب بالدراسة فيها، ويتصل بإجابة بالموافقة أو الرفض أو موافقة مشروطة مع نهاية شهر مارس، و بحسب معدلات الثانوية العامة يختار الطالب واحدة من الجامعات التي قبلت ملفه. يتكون الملف من (كشف العلامات ورسالة دوافع ورسالة تركية). وفي حال لم يتصل الطالب بأي قبول، فإنه يتقدم للقبول الثاني خلال شهر يوليو إذا تعلن خلاله الجامعات عن التخصصات أو المقاعد الشاغرة و حينها يختار الطلبة ما يناسبهم.

هذا النظام، يسهل بشكل واضح آلية الترشيح للجامعات، ويخفض رسوم ملف الترشيح إلى 15 جنيه إسترليني لكل طالب، وهي قيمة زهيدة إذا ما قارناها بما يدفعه الطالب الفرنسي الذي يرغب اجتياز مسابقة دخول مدرسة عليا (بين 100 و 300 يورو لكل مؤسسة).

إن المملكة المتحدة قد أسست لنظام مفتوح مبني على التنافس الواسع بين الجامعات بعضها بين بعض وبين وفروعها العلمية، في حين تنتهج فرنسا نظاما مغلقا يسير بسرعتين: المنافسة شرسة بين كبرى المدارس وغير ذات قيمة بين الجامعات. وجميع الناس مدرك لصعوبة الانتقال أو اختيار فرع علمي إذا حصل وأختار فرعا معينا. و خلاصة القول: أن النظام الأكثر انسجاما والأكثر ديمقراطية، ليس بالضرورة ما نعتقده كذلك.

2- مجمعات جامعية كبرى

يكاد تعداد الطلاب في كلا البلدين (بريطانيا وفرنسا) أن يكون متساويا (2 مليون و 340 ألف في بريطانيا نظير 2 مليون 260 ألف في فرنسا)، غير أن المفارقة تكمن في عدد مؤسسات التعليم العالي 169 مؤسسة للتعليم العالي في بريطانيا، مقابل 4300 في فرنسا، ومجلس المدارس العليا يضم أكثر من 198 مؤسسة مختلفة الاختصاص.

والمنظومة الفرنسية غير واضحة في الخارج، ويجب عليها أن تضاعف من شفافيتها ومن حجم مؤسساتها وأقطابها الجامعية، لتتمكن من دخول ميدان المنافسة العالمية من أفضل الجامعات الدولية إذ تضم الأقطاب البريطانية ما بين 20 إلى 30 ألف طالب لكل واحد منها.

عدد الطلبة في أربع مؤسسات متميزة في البلدين: أحادية التخصص في فرنسا و متعددة الاختصاصات في بريطانيا.

فرنسا	بريطانيا
EN A الكلية الوطنية للإدارة : 467	كامبريدج : 28700
Polytechnique الكلية الوطنية متعددة التقنيات: 1660	أكسفورد : 24600
HEC Paris المدرسة العليا للتجارة : 2700	LES كلية لندن للاقتصاد : 8800
Science po كلية العلوم السياسية: 6700	الكلية الامبريالية: 13400
المجموع: 11527	75500

المصادر: المواقع الإلكترونية للمدارس و الجامعات نفسها

نلاحظ اليوم في فرنسا إدراكا فعليا لأهمية التجمعات والتحالفات الجامعية والكليات الكبرى، ولعل الشراكة الحديثة التي ربطت كلية العلوم السياسية بباريس بالمدرسة العليا للتجارة شاهد على رغبة هذه المؤسسات في إيجاد أقطاب متعددة التخصصات، قادرة على التموّج داخل خارطة الأوربية وكسب بعض الدرجات في تصنيف شنجهاي العالمي.

كما قامت 9 أقطاب معنية بشؤون البحث العلمي والتعليم العالي بإنشاء شركات علمية فيما بينها نذكر منها مثلا جامعات أكس مارسيليا Aix- Marseille و ليون Lyon و بوردو Bordeaux و تولوز Toulouse و الجامعات الأوربية في بروتاني Université Européenne de Bretagne جامعة باريس الجنوبية Université Paris Sud نانسي Nancy و جامعة باريس الشرقية Est Université paris و جامعة باريس التقنية Paris Tech.

غير أن هذه التحالفات الجامعية تقوم كعادتها في فرنسا بإنشاء وحدة إدارية جديدة دون إحداث تغييرات هيكلية في نظم التعليم. نذكر على سبيل المثال مشروع الدولة الأخير المتعلق بأقطاب البحث والتعليم العالي press الذي تبلور علميا بخطوة ركيكة لم تتجاوز مجرد إضافة بند قانوني جديد على هيكلية إدارية غامضة مسبقا. الأهم من هذا وذاك، هو أن المشروع قيام جهات مستقلة بعملية التقييم وتقوم بنشر نتائج دراستها بشكل واضح وفي متناول الجميع ضمانا و حرصا

على الشفافية التامة، فجامعات الغد هي تلك التي تقوم على أسس أقطاب التميز متعددة الاختصاصات و ليس على المراكز الجامعية أحادية الاختصاص.

في قمة جبال الألب:

مدينة غرونوبل الفرنسية هي بمثابة وادي السليوكون فرنسي

تعتبر واحة البحوث لمدينة غرونوبل في طليعة التقنيات الحديثة وتضم 19 ألف باحث وحوالي 200 مختبر و 60 ألف طالب فيما تشرف على 10 مدارس للمهندسين وكلية كبرى للإدارة وشبكة هامة من الشركات التجارية هي: STMicroelectronics, Hawlett-Packard, Catepillar, Shneiderelectric, Alstom Power Hydro, Siemens, France Telecom. وهناك مشروع واعد جديد يتمثل في قطب التطوير والابتكار Giant الذي سوف يضم مراكز Grenoble و Alpes و Iseres و Nanotechnologies. يهدف هذا المشروع إلى إنشاء مركز ضخم للتكنولوجيا على غرار مركز Massachusetts الأمريكي بحيث تتجمع على نفس الرقعة الأرضية الكبرى المراكز البحثية الفرنسية وهي CEA Grenoble, Synchotrom, معهد Laue-Langevin ومعهد البيولوجيا البنيوية، إضافة إلى كليات مهندسين وإدارة منها كلية مدينة غرونوبل للإدارة وقطب Minatec الذي يعتبر أول مركز فرنسي لدراسات النانو وثالث أكبر مركز في العالم.

يعول قطب التطوير والابتكار Giant على مسألة تواصل الباحثين والشركات وهي آلية قد أثبتت فاعليتها التكنولوجية في مدينة غرو نوبل ، وقد ساهم تأسيس حاضنة Grain عام 1999 على تسهيل عملية نقل المعارف بين مختبرات البحث العلمي وقطاع الصناعة. منذ وقت قريب ساهمت هذه الحاضنتان في تأسيس مركز توليد الشركات التكنولوجية في جبال الألب ومهمتها مساعدة نشوء المشاريع الصغيرة. تستفيد هذه المؤسسات من دعم جيد من المستثمرين الأفراد فبعد أن كانوا 15 عام 2001 أصبحوا اليوم قرابة 100 عضو بمحفظة استثمارات تقدر بـ 2 مليون يورو و توليد 73 شرطة تجارية منها 17 عام 2007. إضافة إلى المعارف العلمية ، استطاعت المراكز الواقعة في مدينة غرونوبل أن تطور كفاءات تجمع بين الجانبين المالي و التجاري داخل مراكزها التأهيلية والبحثية. وقد تم انتخابها - عاصمة سرية- لتكنولوجيا النانو من قبل صحيفة التايمز الأمريكية وهي نموذج يحتذى به لتطوير التعليم العالي الفرنسي والبحث.

بهذه القوة و الامتيازات، تم اختيار غرو نوبل لتكون أول مدينة يطبق فيها نظام opération campus التي أقرتها الوزيرة السابقة للتعليم العالي فاليري بيكريس و هي عملية تستهدف إنشاء

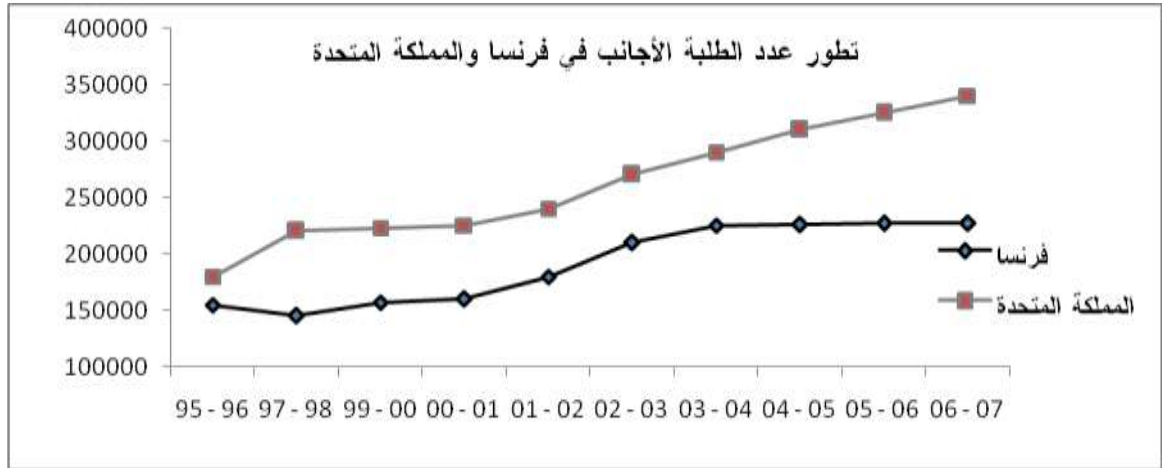
10 مجمعات جامعية كبيرة في فرنسا. بناء عليه، ستحصل جامعات غرو نوبل 1 و 2 و 3 وكلية التخصصات المتعددة وكلية غرو نوبل للإدارة على مبلغ 350 مليون يورو لتمكين من إنشاء مجمع جامعي متعدد التخصصات يستطيع منافسة أكبر الجامعات الأمريكية و البريطانية .

مؤسسات جامعية تتيح استقطاب مزيدا من الطلبة الأجانب

تستقطب بريطانيا في أيامنا هذه، حوالي 330 ألف طالب أجنبي أي بزيادة قدرها 70 ألف طالب أكثر من فرنسا التي لا تستضيف سوى 260 ألف طالب أجنبي، مع العلم أنه في سنوات الثمانينات الأولى كانت الدولتان متساويتين في عدد الطلبة الأجانب الدارسين فيهما، أي حوالي 120 ألف طالب.

ويشكل الطلبة القادمين من قارة آسيا أكبر نسبة أجنبي في الجامعات البريطانية 30 بالمائة، في حين تعتبر نسبتهم هي الأقل في فرنسا 10 بالمائة. ولم يعد سرا لأحد أن اقتصاد و ثروات الغد سوف تكون مرتبطة بالقارة الآسيوية، وخاصة الصين والهند. وعلى الرغم من ارتفاع الرسوم الدراسية السنوية في بريطانيا التي تبلغ 16 ألف يورو للطلبة القادمين من خارج الاتحاد الأوروبي مقابل 165 يورو في فرنسا، إلا أن مملكة بريطانيا تؤهل 4 أضعاف ما تستقبله فرنسا من الطلبة الصينيين و 17 مرة عدد الطلبة القادمين من الهند، وحتى كبرى المدارس الفرنسية التي نعتبرها باهظة الرسوم (8 آلاف يورو)، فهي تضل أرخص بمقدار النصف مقارنة بالرسوم البريطانية. هناك أمر أكيد وهو أن كل من هؤلاء الطلبة سوف يلتفتون إلى سوق العمل البريطانية بعد تخرجهم، وهنا تكمن العبرة.

فضلا عن الدور الجوهري الذي تتبناه بريطانيا من حيث جاذبية جامعاتها، نود أن نطرح سؤالاً هاماً يتعلق بكيفية فهم الفجوة المتزايدة في الحجم التي باتت يفصل بين الدولتين خلال الـ 20 سنة الماضية.



عدد الطلبة الأجانب في فرنسا والمملكة المتحدة سنة 2007

المملكة المتحدة	فرنسا	
106225	65781	عدد طلبة منطقة اليورو
223855	197345	عدد الطلبة خارج منطقة اليورو
330080	263126	المجموع

الطلبة الأجانب: في بريطانيا وفرنسا حسب مناطقهم

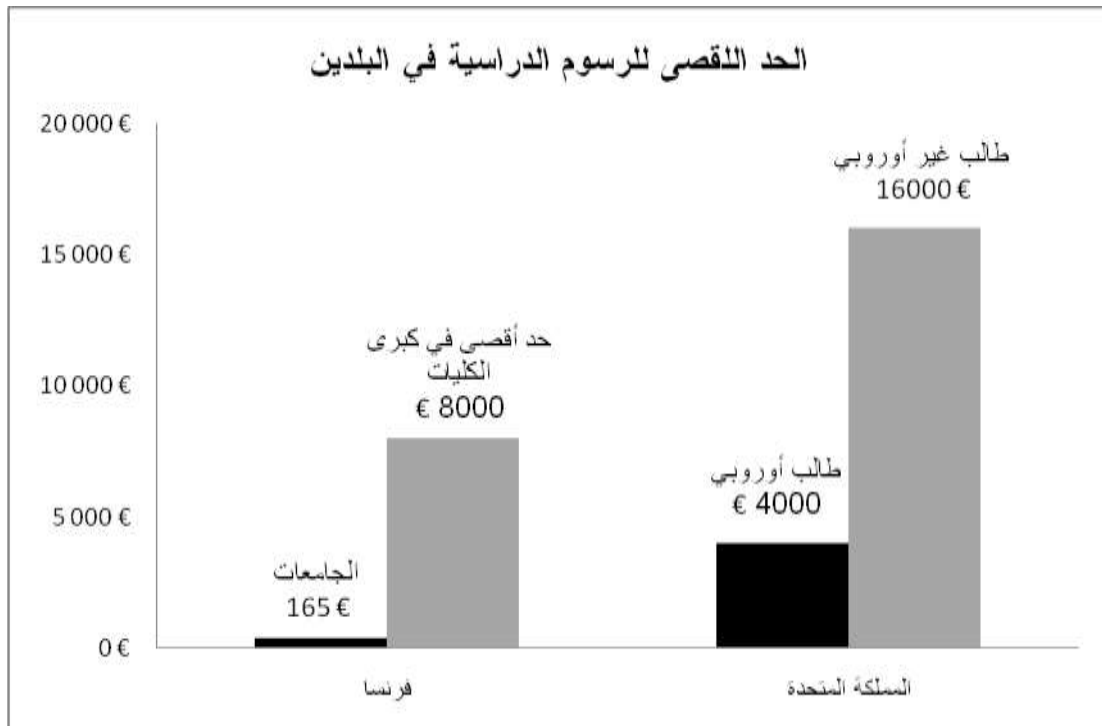
المملكة المتحدة	فرنسا	
29429	109701	إفريقيا
10255	65781	أوروبا
147384	39974	آسيا
18765	3639	أمريكا الشمالية
8488	9648	أمريكا الجنوبية

الجنسيات العشر الأكثر حضورا في البلدين

المملكة المتحدة	فرنسا	
الصين (52677)	المغرب (29859)	1
اليونان (19685)	الجزائر (22228)	2

3	الصين (14136)	الهند (16685)
4	تونس (9750)	ايرلندا (16335)
5	السينغال (8766)	الولايات المتحدة الأمريكية (14385)
6	ألمانيا (5887)	ألمانيا (11553)
7	الكاميرون (5043)	فرنسا (11685)
8	لبنان (4695)	ماليزيا (11474)
9	رومانيا (4320)	هونغ كونغ (10780)
10	إيطاليا (4021)	نيجيريا (8147)

و لأن بريطانيا انتهجت، مع نهاية عقد الثمانينيات، سياسة استقلالية الجامعات فإن ذلك شجع مؤسسات التعليم العالي على استقطاب موارد مالية إضافية عن دعم الدولة، منها تطوير سياسة انخراط عالمية تتسم بالدينامكية وبالفاعلية، تعمل على جذب طلبة أجنبية جدد من بين الأكفاء والمتميزين.



ولأنها أحسنت طرائق جذب الطلبة من جميع أنحاء العالم إليها، فإن الجامعات البريطانية استطاعت أن تحدد رسوما دراسية مضاعفة 4 مرات للطلبة الأجانب، من خارج فضاء الإتحاد

الأوروبي. وغدت سياسة عولمة الجامعة احد الأولويات، ومصدر هام للموارد المالية اللازمة لتسيير الجامعة وإدارتها. وعلى سبيل المثال فإن ثلث موارد كلية لندن للاقتصاد يتم تحصيلها من الطلبة الأجانب.

سياسة الانفتاح هذه، أنتت بثمارها فالجامعات البريطانية لم تحظ بسمعة كالتى تحظى بها اليوم؛ ولأنها تتمتع بـ"علامة" محترمة، فذلك فتح أمامها الطريق لفتح فروع لها في العام أجمع، لاسيما في الصين وماليزيا، على الرغم من سبق المعهد الوطني للتجارة و إدارة الأعمال الفرنسي الذي كان أول من افتتح فرعا له في سنغافورا.

إن تصدير الجامعات البريطانية، في أنحاء المعمورة، هو أيضا وسيلة هامة تضمن للملكة المتحدة تحقيق امتداد ثقافي واقتصادي عبر العالم، فضلا عن كونه مكسبا اقتصاديا للبلد: حيث تقدر إسهامات الطلبة الأجانب في الاقتصاد البريطاني بـ 3 مليار يورو، وتوفير أكثر من 22 ألف وظيفة⁹.

• إتقان اللغة الإنجليزية: أفضلية تنافسية لبريطانيا على فرنسا، ويمكن لفرنسا تعويضها

أن تستشعر الإطارات وإطارات المستقبل من الفرنسيين، بأنهم في حاجة ملحة إلى إتقان اللغة الانجليزية، فهذا من الأمور البديهية، وإن يكن الأمر كما يقول ريتشارد ديسكوينغ Richard Descoings: "إن طلبتنا يفضلون الحديث بلغتين أجنبيتين دون إتقان لهما من أن يتقنوا التحدث بالانجليزية"؛ فلو قصد شابان فرنسيان بكفاءة متكافئة سوق العمل: فإن الذي يتحدث اللغة الانجليزية بطلاقة منها، سيجد آفاق العمل أمامه أكثر رحابة.

واستنادا على دراسة أنجزتها غرفة التجارة والصناعة بباريس، العام 2003، فإن ما يقارب نصف الشركات العاملة في مجال التصدير تقدر بأن أقل من 10 من المئة من موظفيها فقط قادر على التحدث بطلاقة بلغة أجنبية؛ وفي ذات السياق قدرت 63 من المئة من الشركات أنها تتجه إلى جعل اللغة الانجليزية لغة العمل فيها قصد تطوير أعمالها.

إن الخلل الحاصل بين ما يتطلع إليه أرباب العمل وبين مستوى الفرنسيين اللغوي عمق الهوة التنافسية.

• Globish تأهيل متاح للجميع

إن اللغة الإنجليزية المطلوبة اليوم في عالم المال والأعمال، ليست تلك اللغة الأدبية التي تدرس بصورة سيئة في المدارس، وإنما هي انجليزية تواصل فاعلة تتيح التبليغ: والمعروفة بـ GLOBISH أو GLOBAL ENGLISH أي الإنجليزية الشاملة.

وتتطلع فرنسا إلى تحقيق هدف طموح، وقابل للتجسيد، يتمثل في تمكين 80 من المئة من السكان الناشطين فيما دون سن 40 من تعلم اللغة الإنجليزية بعد 10 سنوات، ومعنى ذلك الدخول في استعداد تام للمنافسة في سوق العمل الدولي، ومن أجل تحقيق ذلك، فإن عدة خطوات عملية يمكن اعتمادها.

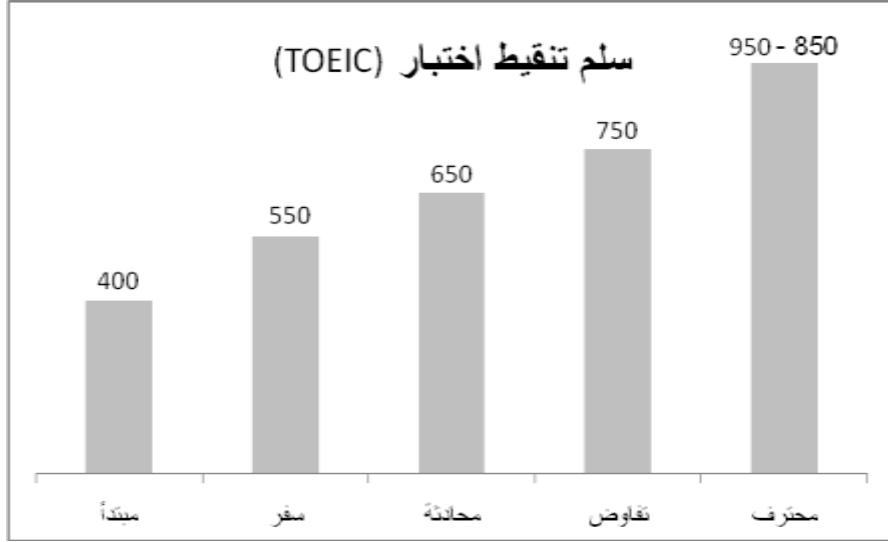
• **TOEIC¹⁰: طريقة لتقويم اللغة الانجليزية العملية و وسيلة للتقدم**

فيها.

طورت المؤسسات الخاصة التي تعنى بتعليم اللغة الإنجليزية وسائل منهجية لتقويم مستوى إتقان هذه اللغة بين الفرنسيين، ومنها مثلاً Wall Street Institute ، وجاءت النتائج مزعجة ومنذرة: فـ85 من المئة من تلاميذ الباكلوريا لا يمتلكون إلا رصيذا يسمح لهم، بالكاد، الاستعانة به في السفر. فلا مجال إذن للحديث عن استعمالها في المجال المهني، بينما يقتضي الحال التمكن من مستوى أرفع بكثير، إذا أردنا ضمان الحضور في عالم معاصر يشتد فيه التنافس.

إن TOEIC اليوم هو اختبار اللغة الانجليزية الأكثر اعتمادا في العالم، وتتزايد طلبات الشركات عليه، ويستغرق إجراء الاختبار ساعتين من الزمن، يجيب خلالها المتقدمون على 200 سؤال متعدد الاختيارات بمعدل 100 سؤال في الاستيعاب الشفهي، و100 سؤال أخرى آخر للاستيعاب الكتابي والقراءة. ومن مواضع ضعف في هذا الاختبار الحالية، عدم قدرته على اختبار مهارات المرشح في المحادثة، وهو الخلل الذي يسعى الاختبار إلى سده في إصداره لعام 2008 "TOEIC الكتابي و الخطابي". وهو ما يتيح اختبار مستوى المرشح من حيث القدرات الكتابية والشفهية معا.

¹⁰. Test Of English for International Communication



إن بلدانا أوربية أخرى، ليست الانجليزية لغتها الأم، قد حققت نتائج أفضل: فمثلا 85 من المئة من الحاصلين على البكالوريا في ألمانيا قد بلغوا مستوى "التخاطب". وفي اسبانيا وايطاليا أين كان مستوى الانجليزية فيهما أقل بكثير من مستوى الفرنسيين قبل ثلاثين سنة، بلغوا اليوم إلى مستوى يضاهي مستوانا، ويتفوقون علينا بمستوى تقدم أعلى من مستوى الفرنسيين. غدت إذن الضرورة ملحة على الشركات أن تواصل عمل منظومة التربية الوطنية، وتأخذ على عاتقها ما يؤهل القوى العاملة الحصول على مستوى "الحوار" كحد ادني، عليها أيضا تأهيل 80 بالمائة من الكوادر ممن هم دون 40 سنة لبلوغ مستوى "النقاش" في غضون السنوات الـ 5 القادمة.

- خطوات عملية من اجل تحقيق هذا الهدف.

1. التعليم الابتدائي والثانوي

- جعل التلاميذ يتخصصون مبكرا في اللغة الانجليزية، قبل أي لغة أخرى، وفرض مركز الصدارة للغة الانجليزية كونها لغة حية.
- تطوير الأفواج الدولية.
- تجنب تعلم الانجليزية على أنها لغة ميتة، والتطور المحسوس يحدث يوم أن يكون 75 من المئة من الحصص التعليمية تتم عبر "الحوار، الاستماع، الاستذكار" و25 من المئة عبر القراءة والكتابة، وما يحدث اليوم أن صورة التعلم هذه معكوسة، فالرهان إذن

يمكن في تحويل أقسام الدراسة الحالية إلى أقسام ذات مستوى، حيث تخصص 3 من 4 من الحصص التعليمية إلى مخابر اللغات.

- القيام بتقويم سنوي لمستوى التلاميذ في الانجليزية، وذلك عن طريق اختبار موحد لكل التلاميذ، كما هو الحال عليه في المدارس الخاصة.

2. التعليم العالي

- إخضاع الطلبة الجدد لاختبار المستوى في اللغة الانجليزية، وذلك لمعرفة مستوى الطلبة الجدد وسد حاجاتهم في مدة سنتين.
- تعميم وحدات لتعلم الانجليزية في كل الاختصاصات، وذلك من شأنه فرض الانجليزية.

3. هدف الشركات: تحسين التمكن من الانجليزية بين الموظفين لخفض الكلفة

- تقويم مستوى الموظفين في اللغة الانجليزية، وهو اختبار يمكن أن توفره مجاناً بعض الشركات الخاصة.
- في إطار التكوين المتواصل، يجب تشجيع العمال على استثمار حقهم الشخصي في التكوين D.F.I (وهو ما يتيح لكل عامل الاستفادة من 20 ساعة تكوين في السنة لمدة 6 سنوات) قصد متابعة دروس ملاءمة المستوى مع تقويم سنوي لقياس التطور الحاصل، فمستوى "المحافظة" 650 نقطة يمكن أن يصل إليه مرشح بمستوى السنة النهائية ثانوي في عام واحد وبحجم ساعي ما بين 80 إلى 160 ساعة.
- كلفة زهيدة: تتراوح ما بين صفر و35 من المئة بالنسبة للشركات¹¹.

إضافة إلى ذلك، هناك خطوات عملية يمكن القيام بها حسب كل مرحلة.

مراحل التعليم الابتدائي و المتوسط

- تأهيل التلاميذ في اللغة الانجليزية بشكل مبكر جدا، قبل أي لغة أجنبية أخرى و منحها الأولوية في اللغات الحية التي يتم تعلمها في المدرسة
- تطوير الأقسام الدولية.
- التحلي عن منهج اللغة الانجليزية كلغة مينة، فالتقدم يكون ملحوظا حين تبنى العملية التعليمية بنسبة 75 بالمائة وفق صيرورة " المحادثة - الاستماع - التكرار " و 25 بالمائة بالقراءة و الكتابة . إلا أن هذه التراتبية قد أغفلت تماما اليوم و علينا إعادة هيكلة المنهجية التعليمية للغة الإنجليزية على نحو يقضي بإنشاء مستويات مختلفة و غالبيتها على هيئة مختبرات لغوية.
- الاستعانة بقدر المستطاع بالمدرسين ممن تكون الانجليزية لغتهم الأم ، ذلك يسهل تعلم لغة المحادثة .
- تقييم مستوى التلامذة سنويا من خلال اختبار موحد كما تفعل معاهد اللغة .
- توزيع التلامذة وفق المستويات اللغوية من أجل الحصول على صفوف متساوية من حيث إتقان اللغة الانجليزية .

مرحلة التعليم الثانوي

- وضع اختبار لغوي مع بداية المرحلة بهدف تقييم المستوى اللغوي للطلبة الجدد وتمكينهم خلال عامين من رفع مستواهم و اللحاق بركب زملائهم.
- تعميم دراسة بعض المواد باللغة الانجليزية، ما من شأنه إلزام التلاميذ بمعرفة هذه اللغة .
- الهدف داخل الشركات: تحسين مستوى الإتقان لدى الموظفين بكلفة بسيطة
- تقييم مستوى الموظفين، بعض المعاهد الخاصة تجري هذا النوع من الخدمات مجانا .
- تعلم اللغة الانجليزية هو بمثابة الاستثمار الاستراتيجي للشركة وبإمكانها مطالبة المعهد الخاص بنتائج جيدة مع نهاية الدورة، معهد وول ستريت يقدم مثلا ضمانات بالحصول على 750 نقطة في اختبار الـ TOEIC .

النتائج: إنه يتعين القائمين على منظومة التربية والتعليم الابتدائي والثانوي، أن يصلوا بجميع التلاميذ إلى التحدث بالانجليزية وفق معايير الـ GLOBISH، فيما يتوجب على الجامعات والتكوين المهني أن تمكن طلابها و كوادرها من بلوغ مستوى التحاور.

على هامش النظام الفرنسي: INSEAD قصة نجاح مدرسة

منذ نشأتها عام 1957، كان للكلية الوطنية الفرنسية للتجارة وإدارة الأعمال (INSEAD) دورا رياديا، وذلك باعتماد اللغة الانجليزية في التدريس، الأمر الذي وضع المؤسسة على هامش نظام التعليم الجامعي الفرنسي. تعتمد الكلية على الهبات الخاصة والرسوم الدراسية وهي مستقلة تماما عن وزارة التعليم الوطني، والتي لم تقر برنامجها في الدكتوراه سوى مؤخرا، وعن طريق "تأشيرة". ومع ذلك فالكلية تقف على قمة ترتيب التصنيفات العالمية، وسنويا تختار بين أفضل 5 كليات تقترح ماجستير في إدارة الأعمال (و40 من المئة من الإصدارات الفرنسية في مجال التسيير تصدر عن هذه الكلية). ثم أن هذه الكلية كانت سباقة في فتح كليات لها خارج الحدود الوطنية حين دشنت سنة 2000 فرعها الآسيوي في سنغافورا .

قصة نجاح كليات التجارة الفرنسية و كلية العلوم السياسية

على عكس الجامعات، استطاعت كليات التجارة الفرنسية التأكيد على جودة مناهجها الدراسية على المستوى العالمي و تحقيق مراتب جيدة فقد وضعتها جريدة الفاينانشل تايمز الأمريكية ضمن أفضل كليات التجارة الأوروبية. في هذا الترتيب احتلت الكلية العليا للتجارة HEC المرتبة الأولى عام 2007 أمام كلية لندن للتجارة ، و حازت كلية باريس العليا للتجارة EASCP-EAP على المرتبة السابعة و بعدها كلية ليون للغدرة بالتاسعة. صدارة الكليات الفرنسية في إدارة الأعمال على المستوى الأوروبي شاهد على مكانتها الجيدة: 6 كليات كبرى تتصدر قائمة أفضل 10 كليات أوروبية.

ما هو مفتاح النجاح؟ إنه التدريس باللغة الانجليزية، لأنها تحقق جذبا كبيرا على المستوى الدولي، في المدرسة العليا للتجارة، كل الدروس متاحة باللغتين الفرنسية والانجليزية وللطالب أن يختار بينهما، في حين تسمح الكلية العليا للتجارة في مدينة ليل EDHEC بإجراء جميع الدروس باللغة الانجليزية منذ عام 2009 وفق برنامج المؤسسات التعليمية الكبرى المعروف باسم ENGLISH friendly أي الزمالة الانجليزية، واثبت حصافته، وبه اقتدت كلية العلوم

السياسية التي فتحت برنامج ماستير بالشراكة مع جامعة كولومبيا وكلية لندن للاقتصاد، ويتم التعليم كلية باللغة الانجليزية.

إن على فرنسا، إذا رغبت في الحفاظ على ثقلها الثقافي والفكري، أن تعمل على استقطاب الطلبة من خارج الفضاء الفرنكفوني.

السربون: علامة جامعية فرنسية شهرتها كبيرة في الخارج لكن استثمارها ضعيف
تحظى السربون بسمعة عالية خارج فرنسا، ويصنفها كثير من الأجانب في مصاف الجامعات العريقة والأسماء اللامعة كهارفارد وأكسفورد وستانفورد وكامبريدج، والواجب يقتضي إعادة النظر في تنظيم الجامعات الباريسية، وذلك بجعلها محورا تلتف حوله تلك الجامعات. إن دمج جامعات السوربون الثلاث (1، 3 و 4) وربطها بكلية كبرى لكل تخصص كالهندسة والإدارة والتجارة والطب سوف يتيح برز مركز جامعي ذي صيت عالمي، وهو الأمر الذي تفتقر إليه فرنسا.

ومنذ العام 2004، برز تقارب بين المواقع الجامعية الباريسية، تركز حول إدارة "باريس الجامعية" قصد ضمان بروزها بصورة واضحة، ولكن من المؤسف أن انضمام بعض جامعات السوربون (3و4) لهذا التجمع الذي يحمل اسم Paris Universitas عام 2008، لم يستثمر اسم السوربون كعلامة موحدة.

إن اسم السربون من شأنه أن يجذب إليه أفضل طلاب العالم.

المقال الأصلي: *Le Triangle d'or: l'Université et la Recherche, moteurs de la création d'entreprise (2009)*
الكاتب: *Arnaud Vaissie et Pascal Boris*
المصدر: *2009 Cercle d'outre-manche*